

أسلوب دراسة الحالة

ماذا يعني؟

تعرض الكثير من الكتاب المهتمين بقضايا المنهج وأساليب البحث الاجتماعي إلى دراسة الحالة باعتبارها أسلوباً له أهميته. وحاولوا في هذا السياق كل من زاوية نظره أن يعرفوا مفهوم دراسة الحالة. ومن ضمن التعاريف التي استوقفنا ونحن نطالع ونتصفح البعض من هذه المراجع، التعريف الذي يعتبرها "طريقة من طرق البحث الاجتماعي المتعمق في العوامل المعقدة التي تحيط بوحدة اجتماعية ما (شخصاً كان أو أسرة أو جماعة أو مؤسسة اجتماعية أو مجتمعاً محلياً.."¹ وهي نوع من أنواع الدراسات الوصفية في نظر البعض ووسيلة مستقلة من وسائل جمع البيانات لدى البعض الآخر. لكن الأهم من هذا وذاك أن أغلب المشتغلين بمنهج البحث الاجتماعي وأساليبه، يعتبرون دراسة الحالة منهجاً من مناهج البحث العلمي. "فهو منهج يهتم بجمع البيانات المتعلقة بظاهرة معينة أو وحدة معينة أو مجموعة أفراد محددين. تقوم على أساس التعمق في الدراسة والنظر في الجزئيات من خلال الكل بهدف الوصول إلى فهم أعمق للظاهرة المدروسة"² هناك أيضاً من يعرف دراسة الحالة من خلال التركيز على طبيعتها فيصفها: "أنها دراسة طولية مكثفة لظاهرة معينة... وذلك بغرض التوصل إلى استدلالات أو استنتاجات تفصيلية سياقية وفهم العملية الديناميكية أو الكيفية التي تأخذها ظاهرة معينة"³ خطوات دراسة الحالة:

ككل طريقة أو أسلوب في البحث العلمي، يمر البحث بأسلوب دراسة الحالة على مجموعة من الخطوات المنتظمة والمتراطة مع بعضها البعض. نستعرضها كما يلي:

- تحديد المشكلة وطرح السؤال
- تحديد الجوانب التي تنصب عليها الدراسة
- تحديد وحدة أو مجموعة الدراسة (الحالة)
- تحديد تقنية أو أداة جمع البيانات
- تحليل البيانات وتفسيرها

مصادر بيانات دراسة الحالة:

- هناك مصادر عديدة يمكن للباحث أن يرجع إليها في مثل دراسة الحالة، ومن أهمها:
- بيانات شخصية يصرح بها المبحوثون أنفسهم عن طريق استجوابهم وطرح أسئلة بخصوص الخبرات الماضية وتطلعاتهم الراهنة.
 - الوثائق الشخصية مثل المذكرات اليومية والخطابات والمقاييس والاختبارات السيكولوجية والاجتماعية.
 - المحيط الأسري والمهني والأطر الاجتماعية التي ينتمي إليها الشخص.
 - سجلات مختلف المؤسسات الحكومية التي تردد عليها الشخص (مدارس مستشفيات، محاكم وغيرها..)

مزايا وعيوب أسلوب دراسة الحالة:

عبد الرحمن سيد سليمان، مناهج البحث، عالم الكتب، 2014، ص. 156.¹
فايز جمعه صالح النجار، أساليب البحث العلمي، منظور تطبيقي، دار الحامد، عمان، الأردن، 2008، ص. 42.²
3 محمد نبيل جامع، البحوث النوعية ودراسة الحالة، مكتبة كل الكتب pdf، ص. 54.

من أهم مزايا دراسة الحالة أنها أسلوب يستخدم كما سبقت الإشارة في اتجاهين من البحث، الاتجاه الاسبطني الفهمي الذي يفضي في أحسن الحالات إلى بناء معارف وتطوير نظريات. واتجاه ثاني وضعي وصفي من شأنه أن يساعد في اختبار الفروض ومراجعة الأطر النظرية التي تشتق منها.

إذن دراسة الحالة ومن خلال طبيعتها الكشفية الاستطلاعية واسعة النطاق بإمكانها أن تفتح للباحث أفق أوسع يسترشد به ويستند عليه في بناء فرضيات ذات مصداقية ولو بشكل نسبي.

لكن في مقابل هذه المزايا، فإن أسلوب دراسة الحالة لا يخلو من العيوب التي تتجلى في معظمها على شكل محاذير وتحفظات ينبغي على الباحث مراعاتها.

- المعلومات التي يحصل عليه الباحث عن طريق هذا الأسلوب لا يمكن تعميمها على الكل.
- أسلوب دراسة الحالة يستلزم من الباحث أن يكون يقضا ضد الانحيازات والتعصبات وكل الاعتبارات الذاتية المجافية للموضوعية والتي قد تؤثر في تفسير النتائج.

المراجع:

- جامع محمد نبيل ، البحوث النوعية ودراسة الحالة، مكتبة كل الكتب pdf، ص. 54.
- سيد سليمان عبد الرحمان، مناهج البحث، عالم الكتب، 2014، ص. 156¹.
- صالح النجار فايز جمعه، أساليب البحث العلمي، منظور تطبيقي، دار الحامد، عمان، الأردن، 2008، ص. 42¹.